

أضواء البيان

@ 126 أن الضنك في اللغة : الضيق . ومنه قول عنترة : وَمَنْ أَطْلَمُ مِمَّنْ
ذُكِّرَ بِأَيَّاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا { الآيات الموضحة نتائج الإعراض عن ذكر
[] تعالى الوخيمة . فأغنى ذلك عن إعادته هنا . وقد قدمنا هناك أن منها المعيشة الضنك .
واعلم أن الضنك في اللغة : الضيق . ومنه قول عنترة : % (إنَّ يُلَاحِقُوا أَكْرَرُ وَإِنْ
يُسْتَلْحَمُوا % أَشَدُّ وَإِنْ يُلَافُوا بِضَنْكٍ أَنْزَلِ) % .
وقوله أيضاً : وقوله أيضاً : % (إنَّ المنيَّةَ لو تُمَّ ثَلْ مِثْلَ ثَلَاثِ % مثلى إذا نَزَلُوا
بِضَنْكِ الْمَنْزِلِ) % .

وأصل الضنك مصدر وصف به ، فيستوي فيه المذكر والمؤنث والمفرد والجمع . وبه تعلم أن
معنى قوله { مَعِيشَةً ضَنْكاً } أي عيشاً ضيقاً والعياذ بـ[] تعالى . .
واختلف العلماء في المراد بهذا العيش الضيق على أقوال متقاربة ، لا يكذب بعضها بعضاً .
وقد قدمنا مراراً : أن الأولى في مثل ذلك شمول الآية لجميع الأقوال المذكورة . ومن الأقوال
في ذلك : أن معنى ذلك أن [] عزَّ وجل جعل مع الدين التسليم والقناعة ، والتوكل على [] ،
والرضا بقسمته فصاحبه ينفق مما رزقه [] بسماح وسهولة ، فيعيش عيشاً هينئاً . ومما يدل
على هذا المعنى من القرآن قوله تعالى : { مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّمَّنْ ذَكَرَ أَبُو
أُذَيْنٍ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَدْخُلِ الْجَنَّةَ حَتَّى يَأْتِيَ فِيهَا فَن يَكُونُ مِنْهَا حَافِئاً يَسُرُّهُ
وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُغْفِرْ لَكُمْ مَتَّعْتُمْ مَّا تَدَّعَا
حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى } ، كما تقدم إيضاح ذلك كله . .

وأما المعرض عن الدين فإنه يستولي عليه الحرص الذي لا يزال يطمح به إلى الازدياد من
الدنيا مسلط عليه الشح الذي يقبض يده عن الإنفاق ، فعيشة ضنك ، وحاله مظلمة . ومن
الكفرة من ضرب [] عليه الذلة والمسكنة بسبب كفره ، كما قال تعالى : { وَضُرِبَتْ
عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَالِكِ
بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ } . وذلك من العيش الضنك بسبب
الإعراض عن ذكر [] . وبين في مواضع آخر أنهم لو تركوا الإعراض عن ذكر [] فأطاعوه تعالى
أن عيشهم يصيروا واسعاً وغداً لا ضنكاً ، كقوله تعالى : { وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا
التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِّن رَّبِّهِمْ لَآ كَلُوا مِن
فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ } ، وقوله تعالى : { وَلَوْ أَنَّنَّ أَهْلَ
الْقُرْآنِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ

وَالَا تُرْضَ } ، وكفوله تعالى عن نوح : { فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا } ،
وقوله تعالى عن هود : { وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى